قصر العبد في عراق الامير

بقلم : د. فوزي زيادين

استأثر هذا البناء الفريد من نوعه باهتمام الباحثه الغربيين منذ اواخر القرن التاسع عشر ، فاسفرت التحريات التي قام بها الفرنسيان دى فوجيه Vogüé(١) ودى سوسى(٢) F. de Saulcy عن دراسات اولية كان لها الفضل فى دفع المستشرقين الى المزيد من البحث والاستكشاف . وقد قام بتلر(٣) Butler بنشر تقرير مفصل عن البناء عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ مدعم بالصور والرسومات مما جعله المرجع الوحيد المعتمد عن الموضوع حتى ايامنا هذه . الا ان هذه الدراسة لم ترتكز الا على التحليل والتخمين لعدم قيامه بحفريات فى الموقع . وكان اول من اقدم على التنقيب الدكتور بول لاب (٤) من المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية فى عامي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ . وبعد ذلك عاد القصر الى عالم النسيان الى ان رات دائرة الاثار العامة اعادته الى البحث باجراء التنقيب والتخطيط الكامل تمهيدا لترميمه وذلك لاعتبارين :

اولهما ان القصر هو البناء الهلنستي الوحيد فى بلادنا والذي لا يزال قائما جزئيا .

وثانيهما ان حجارته العملاقة التي تزن من خمسة الى خمسة وعشرين طنا تجعل الترميم عملا شاقا ولكنه شيقا يكون اختبارا ممتازا لقدرات هذه الدائرة .

فعهدت الى البرفسور ارنست فيل (٥) مدير معهد الاثار الفرنسي للشرق الاوسط يساعده المهندس فرانسوا لارشيه بدراسة القصر من جديد ، وقدمت له العمال والاليات اللازمة . وانتدبت كاتب هذه الاسطر . ممثلا لها فى المشروع الذي تضمن شطرين : ـ

١ ـ الدراسة المعمارية للحجارة المتساقطة بتصنيفها ورسمها .

٢ ـ التنقيب داخل البناء .

وفى سبيل اطلاع القاريء على سير العمل راينا ان نوجز فى هذه الصفحات اخر النتائج التي وصلت اليها البعثة الاثرية . وللمزيد من الوضوح عمدنا الى وصف شامل للاثار الباقية .

الموقع : ـ

تنحدر طريق وادي السير حتى تصل الى قرية عراق الامير حيث يوجد تل اثري يحتوي على ابنية هلنستيه واثار من العصر الحديدي الاول ، وتنتهي عند منخفض تغطية الاشجار المثمرة والذي كانت تصل اليه شبكة من اقنية الرى . وتشرف على هذا المنخفض من الجهة الشمالية الغربية صخور شاهقة نحتت فيها كهوف فسيحة . وعلى مدخل احدها كتب بالإرامية اسم : طوبيا . ويعتقد ان هذ النقش الذي يعود الى القرن الثالث ق.م قد تركه احد افراد عائلة طوبيا التي كانت تحكم عمان فى العصر الفارسي والهلنستي والتي انتشرت فى الضفة الغربية وخاصة مدينة القدس . ويروي التاريخ أن بطليموس السادس ملك مصر « ١٨٠ ـ ١٤٥ ق م » عين احد افراد هذه العائلة واسمه هرقانوس عاملا على شرقي الاردن لجباية الضرائب .

ولكن اخوته تامروا عليه ففر الى الضفة الشرقية واستقر فى مكان يدعى صور باليونانية تيروس (ومن هنا جاء اسم وادي السير) . وشرع فى بناء قصر ، رغم عداء الاهالي له ، وزينه بالاسود واحاطه بالماء . الا ان هذا العز لم يدم طويلا . فقد استولى انطيوخوس الرابع السلوقي ، عدو البطالسة على سوريا فهاجم هيرقانوس عاملهم فى تيروس الذي انتحر عندما قطعت عليه سبل النجاه .

القصر : ـ

لا تزال اثار القصر الذي انشئ فى اوائل

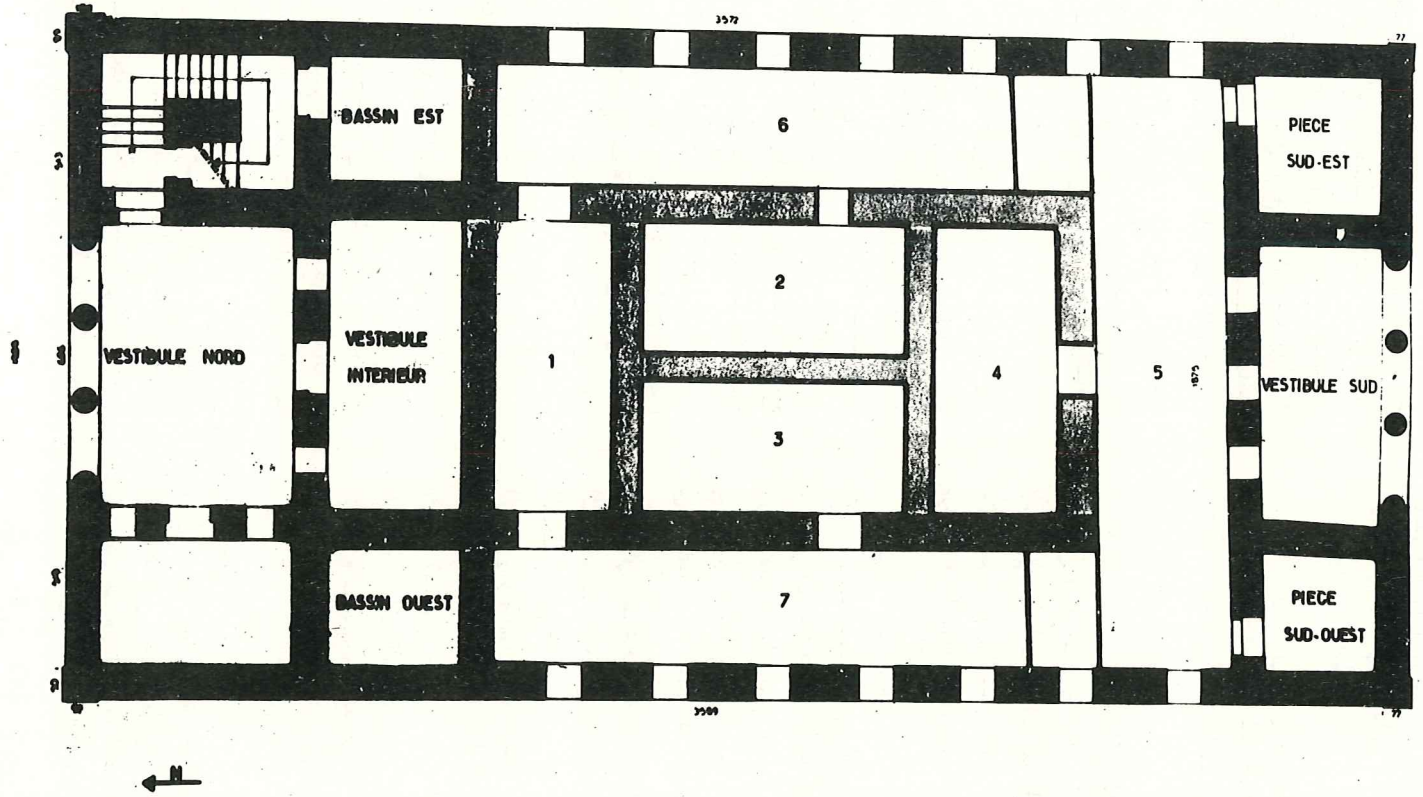

FIG. 1 PLAN GENERAL ET NIVEAU 2.

شكل ـ ١ ـ مخطط قصر العبد في عراق الامير الطابق السفلي

القرن الثاني ق . م (والذي كان يرتفع في دورين) ظاهره للعيان رغم ما عانته من جراء الزلازل . فالقفص الخارجي للبناء (اشكل ٢) يشكل مستطيلا بلغت اضلاعه ٣٧ × ١٨٫٥ م على زواياه اربع ابراج ويحيط به سور. وعند منحدر الوادي الجنوبي اقيم سد لتجميع المياه المنحدرة من النبع . وقد فتحت بوابة (شكل ٣) في الجهة الشرقية كانت تصل اليها طريق القدس وعمان ـ فيلادلفيا ـ وقد بين التنقيب عام ١٩٧٨ وجود افريز من الاسود والنسور فوق البوابة ، كما وظهرت قطع عملة وكسر فخارية من اوائل القرن الثاني للميلاد .

اسفرت دراسة الحجارة المتساقطة والتي تبلغ معظمها ٣٫٣٦ × ٢٫٥٠ م عن مخططات جديدة للواجهات تختلف عما تخيله بتلر . فالاسود الاربعة التي تعلو المدخل الشمالي يسير كل اثنان منها باتجاه معاكس ، وفوقها شرفة صغيرة وعلى كل زاوية نسر ملتصق بتاج العمود الكورنثي . اما على الزاوية الشرقية والغربية فتمثال لبوة وشبلها تلحق باسد . وهكذا يبلغ مجموع الاسود التي تزين البناء على الواجهات الاربع ستة عشر . وقد وجدت احدى اللبوءات الى الجهة الشمالية الغربية كاملة ، ورممت ووضعت في الساحة تمهيدا لاعادتها الى مكانها الاصلي.

التنقيب في الطابق الاسفل : (شكل ١)

اثار الجزء الارضي من البناء عدة اجتهادات كان اقدمها ما نشره دي سوسي عام ١٨٧٠ . ويتخيل المؤلف قاعة مستطيلة ذات اروقة ثلاثة ، تتخللها الدعامات التي تحمل السقف وتنيرها سبع نوافذ على كل من الواجهة الشرقية والغربية وقد ايد بتلر هذا المخطط الا انه اغلق النوافذ خطأ باعمدة لاصقة وترك القاعة مظلمة . وظل هذا المخطط متداولا دون ان يقره احد حفريات اثرية.

وكان اول من باشر بالتنقيب الدكتور بول لاب P. W.Lapp من المدرسة الاميريكية للابحاث الشرقية في عامي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ وخرج بالنتيجة التالية : ـ

مر البناء السفلي بثلاثة مراحل : ـ

١ ـ ان القفص الخارجي المبني بالحجارة العملاقة والمزين بالاسود هو من العصر الهلنستي (القرن الثاني ق . م) وكذلك القواطع الداخلية (شكل ١) .

٢ ـ في القرن الرابع للميلاد اقام البيزنطيون فوق الاساسات الداخلية جدارنا على ارتفاع ١٫٦٠ م وغمروها بالطمم ـ ربما لتحويل البناء الى قلعة .

٣ ـ بعد تردم المرحلة الثانية بسبب الزلازل اعاد البيزنطيون بناء القواطع ، وحافظ لاب على القاعة الثلاثية التي تخيلها كل من دي سوسي وبتلر دون ان يفسر الغرض من هذه الصالة المظلمة .

وقد ادت الاختبارات التي قام بها الى اكتشاف اسد على الجهة الشرقية متصل بحوض في الداخل وكانت المياه تتدفق من شدقيه ورغم تعمقه بالحفر الا انه لم يلاق الا طبقات بيزنطية ، مما يشير الى ان القصر لم يستعمل في العصر الهلنستي لان بناؤه لم يتم.

وكان هدف المجسات التي اشرف عليها البروفسور ، فيل بالتعاون مع دائرة الاثار العامة التوصل الى معرفة وظيفة الطابق السفلي وخرج بالاستنتاجات التالية : ـ

١ ـ بعد اختبار الزاوية الشمالية الغربية ظهر اسد اخر مواز للشرقي متصل بقناه للماء ، وتم الكشف عن جدار يعزل الحوض عن البرج الشمالي الغربي . وفي الجهة المقابلة تبينت اثار الحوض المتصل بالاسد الذي اكتشفه بول لاب ولكن عدم ظهور جص من الداخل يؤكد ان الحوض لم يستعمل قط ، لا بل جعل منه البيزنطيون ممرا يتصل بالدرج الصاعد الى اعلى البرج . وقد كشفت الحفريات عن مرحلتين للباب المتصل بالدرج ، الاولى هلنستيه والثانية بيزنطية .

وتم حفر مجسين من الجهة الجنونية الغربية والشرقية اظهرت وجود قواطع ممتدة شرق غرب ومتصلة بالاساسات الهلنستيه ، مما يؤكد تاريخها من ذلك العهد واذا اضاف المزء القواطع الاخرى التي كان بول لاب قد

شكل ٢ ـ قصر العبد الواجهة الشرقية

شكل ٣ ـ بوابة القصر الشرقية

كشف عن بعضها فانه يصل الى النتيجة التالية : -

ان القاعة الثلاثية المظلمة التي اقترحها بتلر ومن بعده لاب لا وجود لها وانما اثبتت الحفريات بدلا عنها اربع حجرات تفتح على الممرين ٦ ، ٧ ولا تتلقى الضوء الا من هذين الممرين اللذين تنيرهما النوافذ السبعة المشار اليها .

٢ - فوق هذا الطابق السفلي الذي استعمل للخزين كان صاحب القصر قد خطط لطابق اخر يكون له مقرا . الا ان بناؤه لم ينفذ ، ربما بسبب موت هرقانوس المبكر .

السؤال هو اذا كان هذا البناء قصرا ريفيا فهل له ما يقابله في المنطقة ؟ ان قلة الابنية الهلنستيه التي وصلت الينا اثارها لا تسمح بالاجابة على هذا السؤال اجابة مقنعة . لكن لابد من البحث عن سوابق لهذا المقر الزراعي . وهنا يتبادر الى الذهن العدد الوفير من الابراج التي تتحلق حول عمان والتي يرجع معظمها الى القرن السابع والسادس ق . م ، وفي احدها ، وهو خربة الحجار (٦) ، غربي مدينة عمان وجدت قطعة نقد فنيقية ترجع الى حوالي ٤٠٠ ق . م . وهذه الابراج المبنية من الحجارة الغشيمة الضخمة ، ترتفع في دورين كما اثبت ذلك برج الملفوف الشمالي والجنوبي اللذان تم حفرهما في مدينة عمان . وهي في نظري ليست لاغراض دفاعية فقط ولكنها كانت مركزا لمستوطنات زراعية . وقد اثبتت كتابة تل سيران (٧) وجود مثل هذه المزارع التي كان ينشئها ملك العمونيين ، اذ تذكر الكتابة « الكرم والبساتين والاقنية والابار » التي انجزها الملك عمينداب ، ملك بني عمون في حوالي القرن السادس ق . م .

المراجع

1. Melchior de Vogüé
   Le Temple de Jerusalem, Pâris 1864, P. 38-43
2. F. de Saulcy, *Mémoire sur les monuments d'Aaraq el Emir*, Memoires dc l'Academic des inscriptions et belles-lettres, XXVI, Paris, 1870.
3. H.C. Butler, *Ancient architecture in Syria*, II,A, Leyden, 1907, 1915 - P. 7-25.
4. P. W.Lapp. *BASOR*, 165, (1962) p. 16-34, and *BASOR* 171 (1963). p. 8-39.
5. See E.Will, Recherches au Qasr el Abd ʿa ʿIraq el Emir, in this issue p. 137-148.
6. H.O. Thompson *ADAJ*, XVII (1972) p. 47-80.
7. F. Zayadine, H.O. Thompson, *Berytus*, XXII, (1973) p. 115-140.